مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة ص ص 101-125

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

قراءة في أطروحة: الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10- 12م)[1]

Reading in a thesis: Childhood in the Andalusian society between the fourth and sixth centuries AH (BC 10-12 AD)

هشام البقالي [1]

[1] وزارة التربية الوطنية، المملكة المغربية، Hicham_albakali@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 08 أفريل 2020 تاريخ القبول: 23 جوان 2020

Abstract:

The paper attempts to present and read the thesis of Dr. Khalafi Zahia, tagged: Childhood in Andalusian Society between the fourth and sixth centuries Hijri (BC 10-12 Jc), which I discussed, at the Faculty of Humanities and Social Sciences, Mustafa Istambuli University camp, 2019.

This thesis is part of the so-called new history, which emanates from the French Yearbook School, through which the researcher attempted to open up to sources that were not originally written for the historian to benefit from, such as books of translations and manuscripts, through cataclysmic literature, geography books, and medical literature ...; All this to come out with a vision that is almost almost clear from childhood in Andalusian society between the fourth and sixth centuries Hijri (10-12 Jc).

المؤلف المرسل: هشام البقالي.
البريد الالكتروني: Hicham_albakali@hotmail.fr

Keywords:

Childhood; Andalusian society; French yearbook school; new history; Islamic West; buried sources; books of cataclysms.

ملخص:

تحاول الورقة تقديم وقراءة أطروحة الدكتورة خلافي زاهية، الموسومة بـ: الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10- 12م)، التي ناقشتها، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2019.

تدخل هذه الأطروحة ضمن ما يسمى بالتاريخ الجديد، المنبثق عن مدرسة الحوليات الفرنسية، وقد حاولت من خلالها الباحثة الانفتاح على مصادر لم تكتب في الأصل ليستفيد منها المؤرخ، من قبيل كتب التراجم والمناقب، مرورا بأدب النوازل، وكتب الجغرافيا، ومؤلفات الطب...2؛ كل ذلك للخروج برؤية تكاد تكون شبه واضحة عن الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10-12م).

الكلمات الدالة:.

الطفولة، المجتمع الأندلسي، مدرسة الحوليات الفرنسية، التاريخ الجديد، الغرب الإسلامي، المصادر الدفينة، كتب النوازل.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة ص ص 101-125
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1. مقدمة:

إن المتتبع لمراحل البحث في تاريخ الغرب الإسلامي عموما، يقف على التطور الهائل الذي عرفه هذا الميدان منذ عقود؛ سواء كان ذلك على مستوى الإشكاليات المطروحة، أو على مستوى تعميق النظرة في المواضيع المطروقة، مستفيدا من تراكم المادة المصدرية الجديدة التي أظهرها المجهود التحقيقي لثلة من الدارسين المغاربة وغيرهم3. ويتلخص هذا التوجه، في ارتياد تاريخ المجتمع بمعناه الواسع المتشعب المؤدي حتما إلى اعتماد عدة مقاربات مندمجة متداخلة.

اهتم المؤرخون في السنوات الأخيرة بدراسة مواضيع كانت إلى عهد قريب مجال اهتمام علماء الاجتماع والنفس والتربية من زوايا مختلفة، ومن بين تلك المواضيع، دراسة الطفل في العصر الوسيط الذي ظل مغيبا ردحا من الزمن، ولا غرو في ذلك، لأن المصادر الإخبارية التقليدية لم تهتم بهذا الجانب إلا عرضا، مما جعل المؤرخين يبتعدون عن هكذا مواضيع باعتبارها "مجازفة علمية"، لأنها تدخل في خانة "التاريخ المهمل في العصر الوسيط"4.

من هذا المنطلق جاءت أطروحة الدكتورة خلافي زاهية الموسومة بـ: الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10-12م)، لتسد فراغا كبيرا في هذا المجال؛ ذلك أن هذا النوع من المواضيع البحثية لم يدرس بالشكل الكافي بعد5.

حاولت الباحثة في اطروحتها الكشف عن واقع الطفل باعتباره شريحة اجتماعية تحتاج إلى الرعاية اللازمة داخل المنظومة السرية الأندلسية، ناهيك عن سعيها لإبراز سبل معاملة الوالدين للأطفال وأثر تلك المعاملة على هذه الفئة.

لذلك فأطروحتها تبحث في شروط حياة الطفل بالأندلس عصر الدراسة، وقد انطلقت فيها من إشكالية واسعة تدور حول إمكانية التأريخ للطفل في ظل تهميش هذه الفئة من المجتمع كغيرها من فئات المجتمع لصالح التأريخ "الحدثي" السياسي والعسكري، الأمر الذي جعل البحث في مثل هذه المواضيع حكرا على ميادين بحثية مغايرة غير حقل التاريخ، وذلك نظرا للصعوبات المنهجية التي تكتنف تاريخ المهمشين.

1. البحث في الطفولة محاولة أولية:

مما لا مراء فيه أن المدرسة التاريخية الغربية كانت سباقة لدراسة تاريخ الطفل والطفولة، فكان الفضل في إثارة الاهتمام إلى هذا النوع من الدراسات إلى الباحث الفرنسي6 *Philippe Ariès*.

كان للمدرسة التاريخية الإسبانية دور كبير في كشف النقاب عن جوانب من تاريخ الطفل والطفولة في الأندلس، وذلك من خلال عدة مقالات تاريخية – أركيولوجية7.

أما المدرسة التاريخية المغربية فقد برزت بشكل لافت في العقدين الأخيرين، وأنجز المؤرخون المغاربة مقالات ودراسات تهم الطفل والطفولة في العصر الوسيط8.

2. مضامين الأطروحة:

قسمت الباحثة أطروحتها إلى فصل تمهيدي، وفصول أربعة مع مقدمة وخاتمة.

ففي **المقدمة** (ص 2- 22) طرحت الباحثة موضوعها وأسباب اختياره، ناهيك عن المنهج الذي اتبعته فيها، معرجة على أهم مصادر ومراجع الدراسة.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة ص ص 101-125
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

بينت في الفصل التمهيدي (ص 24- 65) السياق اللغوي والاصطلاحي لمفهومي "**الطفل**" و"**الطفولة**"، ناهيك عن مدى حضور هذا الطفل في المصادر الأندلسية، وذلك من خلال حضوره في **الفكر التربوي**[9] **والنصوص الفقهية**[10]، **الأدبية**[11] **والصحية**[12] للأندلسيين، مؤكدة على أنه من "**الصعب إيجاد رؤية واضحة وبسيطة لواقع الطفل الأندلسي فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين**"[13]. لتخرج بحصيلة مفادها أن "**فهمنا لواقع الطفولة في المجتمع الأندلسي فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق10-12م)، لا يتأتى دون الأخذ برؤية مركبة، تبحث في تعدد المضمون الفكري لما دونه الأندلسيون في هذه الفترة من مصادر تهم تاريخ الوقائع والأحداث وتعول بالدرجة الأولى عللا المصادر الدفينة...، في استنباط المعطيات المنوطة بالطفل، ومن ثم وضعها في سياقها التاريخي لتخريج استنتاجات ناءة بإمكانها المساهمة في كتابة تاريخ الطفل**"[14].

خصصت الفصل الاول الموسوم بـ: الأسرة الأندلسية بين التوافق والتنافر، (ص 67- 120) للحديث عن تكوين الأسرة، بدءا بمعايير اختيار الزوجة والخطوبة وما يليها من ترتيبات ومراسم الاحتفال بالعرس، لتنتقل لتبيان مظاهر الألفة بين الزوجين، وفي ختام هذا الفصل كشفت الباحثة عن مختلف الخلافات التي نشبت بين الطرفين وأدت إلى تصدع العلاقة الزوجية والانفصال.

"**طقوس الولادة وعادات استقبال المولود**" هو العنوان الذي اختارته الباحثة لفصلها الثاني (ص 122- 186)، والذي اعتبرته من المواضيع التي ما زال يكتنفها الغموض، ولم يدرس بالشكل الكافي (ص 122).

وخلاله بينت تمثلات المجتمع الأندلسي للولادة، وذلك من خلال تحليلها لثنائيات متقابلة "**أنثوية**" و"**ذكورية**"، من قبيل ثنائية: "**الخصوبة والعقم**"[15] و "**الفحولة**[16] **والخصاء**[17]"...، وذلك لتبرز أهمية كل من الخصوبة والخصاء في حياة الأندلسيين لضمان الاستمرارية وتحقيق السنة الكونية.

عرجت الباحثة في هذا الفصل على تقاليد الولادة وطقوس الاحتفال بالمولود بدءا من فترة الحمل وما يصاحبها من عناية فائقة بصحة الحامل وجنينها، مرورا بطرق الاستدلال على نوع الجنين، وعن أسباب الإجهاض، كما بينت التدابير المتبعة في الولادة وطرق العناية بالمولود والاهتمام بصحته وتغذيته ونومه...

وختمته بعادات الأندلسيين في استقبال المولود، حيث تقام له حفلة عائلية احتفاء به، مرورا بعقيقته وختان الذكور منهم.

والجدير بالذكر أن الباحثة خلصت إلى أن أهم الأسماء المنتشرة حينئذ هي محمد وأحمد بالنسبة للذكور(ص 170)[18]، وفاطمة وعائشة النسبة للإناث (ص 174)[19]. ولا غرو في ذلك، لأن هذه الأسماء كانت تعبر عن الهوية الدينية لحامليها.

أما الفصل الثالث (ص 188- 283) فجاء بعنوان :"**التنشئة الأسرية للطفل الأندلسي**"، تم خلاله إبراز واقع الطفل الأندلسي في ظل التماسك الأسري، انطلاقا من طرح مجموعة من الأسئلة (ض 188)، مؤكدة أن الطفل الأندلسي عصر الدراسة لم يكن مهمشا.

وقد قسمته الباحثة إلى عدة مطالب، كان أولها الحديث عن **واقع الطفل الأندلسي في ظل التماسك الأسري**، حيث ناقشت أساليب الوالدين في معاملة الطفل سواء كانت **أنماطا سوية** (المساندة العاطفية- أسلوب الضبط- التدريب

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

على الاستقلالية- إشراك الطفل اجتماعيا-) أو **غير سوية** (أسلوب الاستبداد والتسلط- أسلوب الإهمال- أسلوب التفرقة- أسلوب الحماية الزائدة)، مع ما تخلفه من آثار في شخصية الطفل. وفي المطلب الثالث تحدثت الباحثة عن **التوجيه الوالدي للطفل**، حيث أماطت اللثام عن أثر التراتب الاجتماعي والوضع الاقتصادي، وكذا المكانة العلمية في توجيه الطفل علميا وعمليا، لتختمه بالحديث عن دور الإماء في تربية أطفال القصور، وأثرهن في شخصية الطفل وذلك في غياب الأم البيولوجية.

تأثير التفكك الأسري عل الطفل هو مضمون المبحث الثاني من هذا الفصل، وفيه تم طرح عدة قضايا عل محك السؤال، من قبيل: نسب الطفل وشروط إثباته في حالات الطلاق والخلع او غياب الزوج، مسألة الحضانة والرضاع، حيث تمت مناقشة من له أحقية الحضانة ومراتب الحاضنين وذلك اعتمادا على "**النصوص الفقهية "الخاصة بعصر الدراسة"**[20].

اهتم المبحث الثالث في هذا الفصل بفئة "**الأيتام واللقطاء بين الرعاية والإهمال**"، فقد عانت هذه الفئة من المجتمع الأندلسي عصر الدراسة من الحرمان العاطفي والمادي، وذلك بفعل المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. مع العلم أن هذه الفئة لم تحظ بعناية المؤرخين، حيث غيبتهم الإستوغرافية التقليدية غضت النظر عنهم، وأسقطتهم من حولياتها، وذلك بسبب نظرة المجتمع لهم، حيث تم اعتبارهم مجرد قاصرين ليس بمقدورهم المساهمة الفعالة في الإنتاج الاقتصادي والثقافي، ولا في سياسة الدولة (ص 269).

اما الفصل الرابع من الأطروحة فقد وسمته صاحبتها بـ"**التنشئة الاجتماعية للطفل الأندلسي**" (ص 285- 391)، رامت من خلاله المؤلفة إبراز معارف الطفل الأندلسي من تعليم وتأديب، مرورا بالمقررات الدراسية والعطل...

كما اهتمت خلاله بلعب الطفل وأساليب تسليته، اعتمادا على مختلف المظان التاريخية وعلم الآثار. ذلك أن اللعب نشاط عفوي حر لا يتميز بالجدية ولا يهدف إلى تحقيق مكاسب مادية بقدر حرصه على تنمية معارف ومهارات مختلفة لدى الطفل تعود عليه بالنفع على مستويات متباينة جسدية(النمو)، وعقلية (تنمية الفكر)، ونفسية (الثقة بالنفس)، وفضلاً على ذلك يساعد اللعب الطفل على التطبيع الاجتماعي بإقامة علاقات اجتماعية مع أقرانه، تخوّل له الدخول في منافسات معهم، وتشّجعه على التضامن في الوقت نفسه. فقد أشارت المظان المختلفة إلى بعض الألعاب المتداولة بين الأندلسيين مثل :لعبة الشطرنج (ص 336)[21]، والنَّرْدُ، وهو لعبة تعتمد على الحظ، وهو مجسم مكعب يتكون من ستة سطوح مربعات متساوية الأضلاع والزوايا، يرسم على كل سطح نقاط سوداء من واحد إلى ستة، هذا بالإضافة إلى لعبة القِرْقُ، المِقْلاءِ والقُلَّةِ، المِطَثَّةُ والمِطَخَّةُ، المِقَثَّةُ، وغيرها من الألعاب.

وقد اختلفت ألعاب الأطفال بين الجنسين، ففي الوقت الذي اهتّم الذكور بألعاب الفروسية، انفردت البنت ببعض الألعاب التي تحاكي بها والدتها.

هذا مع العلم أن الباحثة عرجت على **ممتلكات الطفل الأندلسي**، حيث سعت في هذا المبحث إلى استقصاء آلية انتقال الأملاك المادية بالأساس بين ثنائية "**التقعيد الفقهي**" المبني على إملاءات الشريعة، وبين "**محك الواقع المعاش**" المحتكم إلى الضرورة في المعاملة، خصوصاً وأنّ الطفل القاصر تنتفي فيه الأهلية بشقيها (**الوجوب والأداء**)، إذ هما متقاطعان مع البلوغ والرشد وجوداً وعدماً؛ موضحة **طرق وسبل التملك**، وعوامل **التفريط والتعدي** عليها.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة ص ص 101-125
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

تناولت الدراسة في هذ ا الفصل "**صحة الطفل الأندلسي: الوقاية والعلاج**"، فتم توضيح آراء الأطباء الأندلسيين بخصوص العناية بالطفل قبل وبعد الولادة.

فصحة الطفل الأندلسي كانت مرهونة بالدرجة الأولى بمدى مراعاة الشروط الوقائية والالتزام بها منذ المراحل الأولى للحمل، وفيما بعد الوضع مباشرة، غير أنّ ذلك لم يحل في كل الأحوال دون تعرض الطفل لأمراض عضوية وروحية، لجأ على إثرها الأهالي إلى طرق استشفائية مختلفة كأخذ الأدوية أو التدخل الجراحي، وكذا اتباع وسائل شعبية علاجية بسيطة تتماشى ودخل الأسر الفقيرة، أو اللجوء إلى زيارة قبور الأولياء الصالحين والتبرك بهم[22]، فضلاً على ممارسة طقوس السحر والشعوذة في اتخاذ التمائم وعقد الطلاسم وكتابة الحروز.

عرجت الباحثة على مدى تأثير الأزمات على الطفل الأندلسي من قبيل: الكوارث والحروب...، قالأزمة على اختلاف مسبباتها ومسمياتها ساهمت بشكل كبير في خلخلة الأمن السياسي والاستقرار الاجتماعي، كما النمو الديمغرافي، فضلاً على أنّ تأثيرها يكون عنيفاً ومباشراً على الطفل الذي لم يستطع بفعل ضعف بنيته الجسمية على التحمل.

ختمت الباحثة أطروحتها بخاتمة (ص 393- 399) كانت عبارة عن حصيلة الأطروحة، وذيلتها بعدة ملاحق (18 ملحقا)، وفهارس (8 فهارس)[23]، وقائمة لبيبليوغرافيا الأطروحة (633 مصدرا ومرجعا)، موزعة على الشكل التالي:

النوع	المصادر	المخطوطات	المراجع	الرسائل الجامعية	المقالات	الدراسات الأجنبية[24]
العدد	258	8	143	13	46	26

3. ملاحظات عن الأطروحة:

في البداية تجدر الإشارة إلى أن الأطروحة التي بين أيدينا تضم بين دفتيها أكثر من 500 صفحة، بذلت الباحثة في سبيل لم معلوماتها وتحليلها مجهودا جبارا وهي تنتقل وتجول بين أصناف وألوان مصدرية مختلفة، وذلك قصد لم النصوص المتعلقة بموضوع البحث. فالموضوع يعد –وبكل المقاييس- موضوعا إشكاليا مفعما بالمطبات التي تمتزج فيها ندرة المتون النصية بالتعقيدات المنهجية التي تفرضها طبيعة موضوع بهذه الشاكلة، ورغم ذلك فإننا سنطرح بعض الملاحظات: فبالإضافة إلى الملاحظات التي أوردناها أثناء عرضنا لمضامين الأطروحة، فقد عنت لنا ملاحظات أخرى:

أولى الملاحظات التي يمكن للباحث الوقوف عندها هو عنوان الدراسة نفسه، فالدكتورة خلافي زاهية عنونت أطروحتها كما يلي:

الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10-12م).

وبما أنها حددت المجال الزمني لأطروحتها ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، فهذا يعني أن الأطروحة شملت أيضا الطفل الموحدي، لكنها في المقدمة توضح ان أطروحتها توقفت "**عند نهاية الدولة المرابطية بالأندلس، إذ لم نرغب في إقحام المرحلة الانتقالية التي تغير معها الحكم في الأندلس لصالح الموحدين،**

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وذلك لاعتبارين وجهين أولهما تعارض المشروع الموحدي فكرا وواقعا مع المشاريع السابقة له لتركيزه على نظرية المهدوية، وثانيهما غموض الأحداث المصاحبة للفترة الانتقالية وشح المادة المصدرية، وعجزها عن إفادتنا ببدايات التغيير وتأثيره على الطفل، خصوصا وأن الموحدين غيروا في المناهج التربوية لمرحلة التعليم الأولي"[25]. وبالتالي كان على الباحثة تغيير عنوان أطروحتها لأن الموحدين حكموا الأندلس طيلة النصف الثاني من القرن السادس الهجري. وكان الأجدر وضع العنوان التالي:

الطفولة في المجتمع الأندلسي من القرن الرابع إلى نهاية الدولة المرابطية.

وهذا العنوان ينسجم تماما مع مضمون الأطروحة، والدافع الذي دفعها للتوقف عند نهاية المرابطين.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإننا نختلف مع الباحثة في السبب الثاني، والمتعلق بـ"**شح المادة المصدرية**"، فالمؤرخ يجد نفسه أمام كم كبير من المادة المصدرية **للتأريخ** للطفل والطفولة الموحدية، ولعل في مقدمتها كتب النوازل والمناقب...[26].

بينت في الفصل التمهيدي (ص 24- 65) السياق اللغوي والاصطلاحي لمفهومي "**الطفل**" و"**الطفولة**"، ناهيك عن مدى حضور **هذا** الطفل في المصادر الأندلسية، وذلك من خلال حضوره في الفكر التربوي والنصوص الفقهية، الأدبية والصحية[27] للأندلسيين، لكن الملاحظ أنها عرجت على مصنفات الأطباء العرب على وجه العموم، ولم تبرز لنا المصنفات الطبية الأندلسية التي اعتمدتها والتي

تهم زمن أطروحتها، باستثناء الطبيبين أبي القاسم الزهراوي، ص 61، والطبيب عريب بن سعد القرطبي، ص 63.

في غياب مادة مصدرية زمن الدراسة، نجد أن الباحثة تعتمد على مادة مؤطرة زمنيا خارج المجال الزمني الذي حددته بالقرنين الرابع والسادس الهجريين[28].

من بين الملاحظات التي عنت لنا أثناء قراءة الأطروحة، أن الباحثة أقحمت فصولا لا تخدم الاطروحة في شيء، خاصة الفصل الأول الموسوم بـ: "**الأسرة الاندلسية بين التوافق والتنافر**"، حيث تحدثت الباحثة فيه عن معايير اختيار الزوجة والخطبة، والصداق، عقد القران وإعداد الجهاز، وحفل الزفاف...، ويحق لنا ان نتساءل عن علاقة هذه المباحث في موضوع الطفل الذي هو محور الاطروحة؟

اقحام ملاحق لا تخدم الاطروحة،

الملحق 1: هدية لزوجة الملك، عبارة عن علبة مجوهرات السيدة صبح البشكنسية التي أهداها لها الحكم المستنصر بالله بعد ولادة ابنهما عبد الرحمن سنة 351 هـ/ 962م، والملحق في نظرنا لا يخدم الأطروحة في شيء البتة، خاصة وأنها متمحورة حول الطفل.

الملحق 2: صورتين لكرسيين للولادة، لكن الباحثة لا تذكر بتاتا هل هما كانا يستعملان في الأندلس زمن الدراسة؟ وبالتالي فإن هذا الملحق لم يخدم الأطروحة.

ال**ملحق 5**: وهو صورة لطفل مسيحي بصدد تعلم المشي، وعنوان ومضمون الأطروحة لا صلة له بالمسيحيين، نفس الأمر ينطبق على ما تذكره الباحثة بالنسبة لأسماء باقي الفئات الغير المسلمة من أهل الذمة (ص 173)

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

والصقالبة (ص 174)، وأسماء إناث أهل الذمة (ص 175)، وأساليب التأديب عندهم (ص 326).

ونفس الملاحظة تنطبق على مسألة الختان عند طائفة اليهود (ص 181)، وعند المستعربين (ص 183)، ناهيك عن فئة الأطفال غير الشرعيين لطائفتي النصارى واليهود (ص 281).

الملحق 13: عبارة عن قدرين ووعاء من الفخار، ونتساءل ما علاقتهما وأهميتهما بالنسبة للأطروحة؟

الملحق 15: نعتقد أن هذا الملحق لا ينسجم وموضوع الاطروحة، فهو عبارة عن صور لأدوات التدخل الجراحي من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي، وهي:

- أداة كي شقاق الشفة.
- أداة كي حدبة الظهر.
- أداة علاج ماء الرأس.
- أداة انسداد الأذن
- أداة انسداد الكمرة.
- أداة الشق على حصى المثانة.

الملحق 16: تحطيم الغذاء في غزوات الخليفة الناصر لدين الله ضد المتمردين من خلال الجزء الخامس لكتاب المقتبس لابن حيان، حيث ذكرت الباحثة أماكن الغزوات وسنة حدوثها وأنواع المنتوجات التي تم تحطيمها، ومن

حقنا التساؤل عن علاقة كل ذلك بموضوع الطفولة؟ مع العلم أن الباحثة لا توضح الهدف من هذه الملاحق، وكيف تخدم موضوعها.

نفس الملاحظة تنطبق على الملحق 17، الذي خصصته للكوارث الطبيعية والأوبئة بالأندلس فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق10- 12م).

الملحق 18: قضايا الطفل من خلال النصوص النوازلية الأندلسية بالأندلس فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق10- 12م)[29] ، وقد حصرتها الباحثة في النوازل التالية:

1- نوازل ابن سهل.
2- أحكام الشعبي.
3- نوازل ابن بشتغير.
4- فتاوى ابن رشد الجد.
5- نوازل ابن الحاج التجيبي.

ومن حقنا أن نتساءل: هل نوازل العصر المدروس هي فقط ما ذكرته الباحثة؟

فأين هي باقي نوازل العصر المدروس؟ والتي من بينها:

نوازل أبي علي حسن ابن زكون(ت553هـ)، المسماة **اعتماد الحكام في مسائل الأحكام، وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام** وتوجد منه الأجزاء الأربعة المخطوطة المتوفرة

(7،8،9،10) والمحفوظة بالخزانة الوطنية بالرباط على ميكروفيلم، برقم: 413 ق.

نوازل ابن بقوي (ت. 530 هـ)[30].

أجوبة ابن ورد الأندلسي[31].

نوازل أبي عبد الله بن محمد البطليوسي[32] .

نوازل أبي الوليد الباجي[33] .

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

نوازل ابن أبي زمنين[34]، وغيرها كثير[35]؟

وبالتالي وجب تغيير عنوان الملحق الى:

قضايا الطفل من خلال بعض النصوص النوازلية الأندلسية بالأندلس فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق10- 12م).

4. خاتمة:

والحصيلة، إن هذه الملاحظات التي أبديناها لا تنقص من قيمة العمل أي شيء، إذ يكفي أن نعلم أن الباحثة قد انطلقت من شبه فراغ تنظيري أكاديمي، فالطفولة في الأندلس تقابل بصمت المصادر التي تعز فيها المادة التي يمكن للباحث أن يكشف من خلالها صورة متكاملة عن الطفل والطفولة بالأندلس عصر الدراسة، فالبحث في تاريخ الطفل الأندلسي يعتبر بحق قيمة علمية مضافة للبحث التاريخي بالغرب الإسلامي، وبقراءتنا لأطروحة الدكتورة، زاهية خلافي نأمل أن نكون قد ساهمنا مساهمة يسيرة في التأريخ لتاريخ **الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10- 12م)**، وحسبي أني حاولت وسعيت " وأن للإنسان ما سعى".

الهوامش:

[1] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10-12م)**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2019، 512 صفحة.

[2] عن أهمية هذه المظان في حقل الدراسات التاريخي أنظر إبراهيم القادري بوتشيش: "**النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق 5 . 6 هـ/ 12 . 13 م)**"، مجلة **التاريخ العربي**، عدد 22، ربيع 2003 م.

[3] وذلك بتحقيق كتب المناقب والتراجم والنوازل الفقهية، وكتب العقود وغيرها من الأصناف التي لم تكتب أصلا للمؤرخ.

[4] بولقطيب الحسين: **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2002، ص 4.

[5] أنظر الدراسات في الهامش 8.

[6] وذلك في كتابه المؤثر للغاية: Philippe Ariès, **L'Enfant et la Vie Familiale sous l'Ancien Régime** (1960). وقد ترجمته إلى اللغة الإنجليزية سنة 1962 تحت اسم: Centuries of Childhood

[7] من بين هذه الأعمال نذكر:

- Alvarez de Morales (C), Giron Irueste (F), Diaz Garcia (A), Peña Muñoz, Carmen Peña Muñoz : **El niño enfermo en los textos médicos andalusíes** ; Dynamis: acta hispanica ad medicinae scientiarumque historiam illustrandam.- Vol. 4 (1984), p. 265-276.
- Alvarez de Morales (C), **El niño en al-Andalus a través de la medicina y el derecho**, Estudios de Historia de España, VII (2005), pp. 51-65.
- ZOMEÑO Rodriguez, **En los límites de la juventud. Niñez, pubertad y madurez en el derecho islámico medieval**, Mélanges de la Casa de Velázquez, vol 34 , 2004, pp 85- 98.
- Arjona Castro, Antonio, **La infancia y la sexualidad de Ibn Hazm**, AL-ANDALUS-MAGREB, 1995, n. 3 -pp. 143-150.
- Torres Balbas, **Animales de juguete,** Al-Andalus, v. XXI 1956 ; pp. 373-375.
- Bordoy Guillermo, **SILIBATOS MALLORQUINES**, AL-ANDALUS, XXII, 1957, pp. 196-198.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- MARINETIO SÁNCHEZ, **Purificación, Juguetes y silbatos infantiles de época nazarí, Miscelánea de estudios árabes y hebraicos. Sección Arabe-Islam**, Vol. 46, 1997, pp, 183-205.

وعن فحوى هذه الدراسات أنظر، محمد رضى بودشار: "**الطفل والطفولة في الأندلس من خلال الدراسات الإسبانية**"، ضمن كتاب: **من الأندلس إلى تطوان**، أعمال الندوة التكريمية للدكتور امحمد بن عبود، تطوان 2013، ص 251- 261.

كما شارك الدكتور. فرانسيسكو بيدال، من جامعة جيان، بمقال: "**حقوق الطفل في النظام القضائي بالأندلس**"، ضمن ندوة: "**حقوق الإنسان في الأندلس**"، نظمها مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بتعاون مع جامعة إشبيلية، يومي 17 و 18 أبريل 2008.

[8] محماد لطيف:"**تعليم الطفل وعلاقته بوضعية الأسرة في المغرب القرن السادس الهجري-الثاني عشر الميلادي**"، مجلة **أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع**، ع 30، 2004م، ص 17- 25، محمد رضى بودشار: "**الطفل والطفولة من خلال كتب التراجم الأندلسية**"، ضمن ندوة: **الأندلس والتوثيق**، تنظيم مجموعة البحث في التاريخ المغرب والأندلسي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، 19 دجنبر 2008، (لم ينشر بعد)، نفسه: "**الولاية الصوفية والطفولة خلال القرن السادس الهجري**"، ضمن كتاب جماعي: أعمال مهداة لمحد الشريف (قيد الطبع)، محماد لطيف: **الطفولة والتنشئة الاجتماعية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**، منشورات الرابطة، كلية الآداب ابن زهر-أكادير، 2015، حميد تيتاو: "**الأيتام في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**"، ضمن كتاب: **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس، قضايا وإشكالات**، منشورات الدمعية المغربية للبحث التاريخي، ج 2، قضايا في التاريخ الاجتماعي، 2019، ص 23- 62. أما الأعمال العربية فنذكر منها: زهية جويرو: "**الطفل في المجتمع الأندلسي من خلال مجموعة من الفتاوى**"، ضمن كتاب: **المغرب في ضمير أدبائه**، تنسيق سليم ريدان، دار سحر للنشر، 2005.

[9] من خلال رسالة ابن حبيب، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 39، والعقد الفريد لابن عبد ربه، بالإضافة لابن حزم وابن عبد البر، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 40، ومن خلال أبي بكر بن العربي، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 45؛ مع العلم أن نظريات ابن حزم وابن العربي ظلت حبيسة كتبهما،

"لاعتقاد الناس في غرابتها وبُعدها عن عرفهم في تلقين الأطفال القرآن الكريم أولا لئلا يفوتهم فضل حفظه، ومن ثمة التفرغ لدراسة بقية العلوم في تدرج تصاعدي" خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 46.

[10] حيث نجد حضورا مهما للطفل في المدونات النوازلية لفقهاء الأندلس، بالرغم من أن النوازل المتوفرة لم تتطرق سوى للحالات غير العادية، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 48.

[11] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 51.

[12] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 58. رغم أن الباحثة عرجت كثيرا على مصنفات الأطباء العرب على وجه العموم، ولم تبرز لنا المصنفات اتي اعتمدتها والتي تهم زمن أطروحتها، باستثناء الطبيب أبي القاسم الزهراوي، ص 61، والطبيب عريب بن سعد القرطبي، ص 63.

[13] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 34.

[14] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 65.

[15] حيث يصبح لخصوبة المرأة تأثير نفسي واجتماعي يعود عليها ومجتمعها بالفائدة، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**... م. س، ص 127.

[16] وللفحولة تأثير نفسي يشعر الرجل بالكمال الجسمي، كما أن الإنجاب يحفظ له وجوده واستمرارية نسله، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**... م. س، ص 135.

[17] ذلك أن الخصاء أو الضعف الجنسي من العوائق النفسية للرجل لتضمنه مشاعر العجز وقلة الكفاءة الاجتماعية، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**... م. س، ص 137.

[18] اعتمادا على كتاب الصلة لابن بشكوال.

[19] اعتمادا على كتاب الأحكام الكبرى لابن سهل.

[20] لنا عودة لمسألة اعتماد الباحثة لكتب النوازل في المبحث الخاص للملاحظات على الأطروحة.

[21] الملاحظ أن الباحثة لم تشر من قريب أو من بعيد على أن الطفل الأندلسي قد لعب بالشطرنج عصر الدراسة، رغم أنها تجزم بأن أهل الأندلس قد أقبلوا عليها "على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية دون الالتفات إلى رأي المفتي، لاعتمادها على إعمال الفكر وتقوية العقل، وبالنظر إلى انتشارها الأفقي والعمودي، لا نجانب الصواب إن قلنا بأنّ الأطفال ممن ناهزوا سنّ الاحتلام أقبلوا عليها ومارسوها"، خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**... م. س، ص 336، ويبقى ذلك مجرد استنتاج لا تعززه الشواهد التاريخية- على الأقل من خلال الأطروحة-.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[22] لمزيد من التفاصيل راجع، هشام البقالي: "**الطب الشعبي في العصر المرابطي بالمغرب والأندلس من خلال كتب المناقب**"، **مجلة التراث**؛ جامعة زيان عشور الجلفة، الجزائر، المجلد التاسع، العدد 32، دجنبر 2019، ص 155- 163.

[23] منها فهرس للنباتات والحيوانات.

[24] باللغات الفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

[25] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**... م. س، ص 3.

[26] هشام البقالي: "**المؤلفات النوازلية للفقهاء المالكية بالغرب الإسلامي دراسة ببليوكرونولوجية**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية؛ مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، المجلد ، الثالث العدد ، الثاني، شتنبر 2020، قيد الطبع .

[27] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 58. رغم أن الباحثة عرجت كثيرا على مصنفات الأطباء العرب على وجه العموم، ولم تبرز لنا المصنفات اتي اعتمدتها والتي تهم زمن أطروحتها، باستثناء الطبيب أبي القاسم الزهراوي، ص 61، والطبيب عريب بن سعد القرطبي، ص 63.

[28] خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي**...، م. س، ص 146- 147، حيث تحيل على كتاب محمد بن عبد الكريم التميمي: **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس زما يليها من البلاد**، دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية تطوان، 2002، ج 2، ص 147، ترجمة 62، ص 168، ترجمة 142، وأنظر نفس الأمر حينما تتحدث عن لجوء إحدى النسوة للتسول قصد إطعام أطفالها، أنظر ص 198، الهامش رقم 4، وبالرجوع لكتاب "**التشوف**" نجد أن المعلومة وردت في الترجمة 154 للولي أبي إسحاق الأندلسي، لكن لا نعلم زمن مولده ووفاته.

[29] ونفس الأمر ينطبق على متن الدراسة، أنظر على سبيل المثال المبيان ص 49- 262.

[30] نوازل أبي الوليد هشام بن أحمد الهلالي الغرناطي، المعروف بابن بقوي (ت. 530 ه) ، وكتابه المذكور في الأحكام والنوازل يوجد مخطوطاً في الخزانة العامة والخزانة الحسنية وخزانة القرويين وغيرهما.

[31] دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف، الرباط 2008، ونشرها باسم: "**الأجوبة**" لأبي القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد (ت540هـ)، تحقيق الفقيه محمد بوخبزة والدكتور بدر العمراني، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، التابع للرابطة المحمدية للعلماء، 2009م.

[32] أبي عبد الله بن محمد البطليوسي: **المسائل والأجوبة**، مخطوط بخزانة القرويين، رقم 1232.

[33] "**فصول الأحكام، وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام**" لأبي الوليد الباجي (ت474هـ)، تحقيق الباتول بن علي، ونشرته وزارة الأوقاف المغربية، سنة 1990م.

[34] **منتخب الأحكام**، لابن أبي زمنين محمد بن عبد الله بن علي الإلبيري (ت399هـ)، مطبوع ومحقق، ونوقش في أطروحة دكتوراه للدكتور/محمد حماد بكلية الآداب - جامعة عبد المالك السعدي بتطوان.

[35] وجب التذكير بأن العصر المرابطي تميز بكثرة المجاميع الفقهية والمؤلفات النازلية التي ألفت خلاله، لدرجة أن المرحوم محمد بنشريفة يتحدث عن: "**الانفجار الفقهي في عهد المرابطين**"، أنظر: **أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب**" ضمن كتاب: **التاريخ وأدب النوازل**، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 46، المحمدية، 1995، ص 40، وأنها "**بلغت حد التراكم**"، نفسه: "**نوازل غرناطية لابن عاصم**"، ضمن كتاب: **التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1993، ص 215، مصطفى بنسباع: "**ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي**"، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الخامس: **العلوم الشرعية**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: 1417هـ/1996م، ج5، ص: 285، إذ حصل "تراكم إنتاجي في ميدان معرفي هو ما عرف بكتب الفتاوى أو الأحكام أو النوازل أو المسائل في كل من المغرب والأندلس"، وتفردت الأندلس "خلال العصر المرابطي بإنتاج العديد من الكتب في هذا الفرع من الفقه الاسلامي"، نفس المرجع والصفحة.

هشام البقالي: "**الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأندلس عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التجيبي**"، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، جامعة الجزائر 2، المجلد الرابع، العدد الأول، أكتوبر 2019، ص 71، الهامش 2، هشام البقالي: "**وضعية المرأة الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال أدب النوازل: نوازل ابن الحاج التجيبي (ت. 529هـ) أنموذجا**"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران، الجزائر، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني دجنبر 2019، ص 119، هامش 1، هشام البثالي: "**المؤلفات النوازلية للفقهاء المالكية بالغرب الإسلامي دراسة ببليوكرونولوجية**"،

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة ص ص 101-125
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مجلة **العبر للدراسات التاريخية والأثرية**: مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، المجلد، الثالث العدد الثاني، شتنبر2020، قيد الطبع .

مجلة الدراسات التاريخية

البيبليوغرافيا

1) الحسين بولقطيب: **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2002،

2) حميد تيتاو: "**الأيتام في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**"، ضمن كتاب: **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس، قضايا وإشكالات**، منشورات الدمعية المغربية للبحث التاريخي، ج 2، قضايا في التاريخ الاجتماعي، 2019، ص 23- 62.

3) خلافي زاهية: **الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (ق 10- 12م)**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2019.

4) زهية جويرو: "**الطفل في المجتمع الأندلسي من خلال مجموعة من الفتاوى**"، ضمن كتاب: **المغرب في ضمير أدبائه**، تنسيق سليم ريدان، دار سحر للنشر، 2005.

5) فرانسيسكو بيدال: "**حقوق الطفل في النظام القضائي بالأندلس**"، **ضمن ندوة: "حقوق الإنسان في الأندلس"**، نظمها مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بتعاون مع جامعة إشبيلية، يومي 17 و 18 أبريل 2008.

6) محماد لطيف: **الطفولة والتنشئة الاجتماعية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**، منشورات الرابطة، كلية الآداب ابن زهر- أكادير، 2015.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

7) محماد لطيف:"**تعليم الطفل وعلاقته بوضعية الأسرة في المغرب القرن السادس الهجري- الثاني عشر الميلادي**"، مجلة أمل، **التاريخ، الثقافة، المجتمع**، ع 30، 2004م، ص 17- 25.

8) محمد بنشريفة: "**أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب**" ضمن كتاب: **التاريخ وأدب النوازل**، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 46، المحمدية، 1995.

9) محمد بنشريفة: "**نوازل غرناطية لابن عاصم**"، ضمن كتاب: **التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1993.

10) محمد رضى بودشار: "**الطفل والطفولة في الأندلس من خلال الدراسات الإسبانية**"، ضمن كتاب: **من الأندلس إلى تطوان**، أعمال الندوة التكريمية للدكتور امحمد بن عبود، تطوان 2013، ص 251- 261.

11) محمد رضى بودشار: "**الطفل والطفولة من خلال كتب التراجم الأندلسية**"، ضمن ندوة: **الأندلس والتوثيق**، تنظيم مجموعة البحث في التاريخ المغرب والأندلسي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، 19 دجنبر 2008، (لم ينشر بعد).

مجلة الدراسات التاريخية

12) محمد رضى بودشار: "**الولاية الصوفية والطفولة خلال القرن السادس الهجري**"، ضمن كتاب جماعي: أعمال مهداة للذكتور محمد الشريف (قيد الطبع).

13) مصطفى بنسباع: "**ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي**"، ضمن ندوة: **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الخامس: العلوم الشرعية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ج5. ط: 1417هـ/1996م.

14) هشام البقالي: "**الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأندلس عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التجيبي**"، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، جامعة الجزائر2، المجلد الرابع، العدد الأول، أكتوبر 2019.

15) هشام البقالي: "**وضعية المرأة الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال أدب النوازل: نوازل ابن الحاج التجيبي (ت. 529هـ) أنموذجا**"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران، الجزائر، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني دجنبر 2019.

16) Philippe Ariès, **L'Enfant et la Vie Familiale sous l'Ancien Régime**; paris 1960.
17) Alvarez de Morales (C), El niño en al-Andalus a través de la medicina y el derecho, Estudios de Historia de España, VII (2005).
18) Alvarez de Morales (C), Giron Irueste (F), Diaz Garcia (A), Peña Muñoz, Carmen Peña Muñoz : **El niño enfermo en los textos médicos andalusíes ; Dynamis**: acta hispanica ad

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

medicinae scientiarumque historiam illustrandam.- Vol. 4 (1984).
19) Arjona Castro, Antonio, La infancia y la sexualidad de Ibn Hazm, AL-ANDALUS-MAGREB, n 3 ; 1995.
20) Bordoy Guillermo, SILIBATOS MALLORQUINES, AL-ANDALUS, XXII, 1957.
21) MARINETIO SÁNCHEZ, Purificación, Juguetes y silbatos infantiles de época nazarí, Miscelánea de estudios árabes y hebraicos. Sección Arabe-Islam, Vol. 46, 1997.
22) Torres Balbas, Animales de juguete, Al-Andalus, v. XXI 1956.
23) ZOMEÑO Rodriguez, En los límites de la juventud. Niñez, pubertad y madurez en el derecho islámico medieval, Mélanges de la Casa de Velázquez, vol 34 , 2004.